﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾ [الأنبياء:53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد سؤالِ تجهيلٍ وإنكارٍ أتى جوابُ قومِ إبراهيمَ بما يوجبُ مزيدَ التوبيخِ

لَمّا سألهم عن عبادتهم المستمرّة لتماثيلَ لا جدوى منها، ولا نفعَ لها، على الرَّغم من مرورِ زمنٍ على عبادتهم لها، ولم يكنْ لهم ملجأٌ يُعتدّ به التجؤوا إلى التّقليدِ البَحْتِ الّذي تَوهَّموا إقناعَهُ به؛ إذْ حَسِبوهُ مِثْلَهم يُقَدِّسُ عَمَلَ الآباءِ ولا يَنْظُرُ في مُصادَفَتِه الحَقّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَجَدْنَآ﴾: (وجد) أصْلٌ يَدُلُّ على أصْلٍ واحِدٍ، وهو الشَّيُّ يُلْفيهِ[2]، ووجدَ: فعلٌ تامٌّ معناه إصابةُ ذاتِ الشيء، أي: العثورُ عليه في الحيّز، ويأتي بمعنى العلم، والوُجْدُ بالضمّ: بمعنى الوُسْع والطاقة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ [الطلاق: 6] أي: الموجودُ في الحوزةِ من الشّيء[3]، يُقال: وجَدَ مطلوبَه: أصابَهُ وأدرَكه وظفِرَ به، وعَثَر عليه، ووجَد الحوارَ صريحًا: عَلِمه وعَرَفه، ووجَدَ الشّخصُ: استغنى وصار ذا مال[4]، ومعنى ﴿وَجَدْنَآ﴾ في الآية: ألْفَينا كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [البقرة:170].

2) ﴿عَٰبِدِينَ﴾: (عبد) أصْلٌ يَدُلُّ على لينٍ وذُلٍّ، ومنه طريقٌ مُعبَّدٌ، وهو المَسْلوكُ المُذَلَّلُ[5]، ومَعْنَى العبادةِ في اللُّغَةِ: الطّاعةُ مَعَ الخُضوعِ، والعَبْدُ: الإنسانُ – حُرًّا كانَ أو رَقيقًا – [6]، وأصلُ العُبوديَّةِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 442، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 72، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 95.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وجد).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وجد).
(4) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (وجد).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (عبد).

الخضوعُ والذّلُّ، والعِبادةُ: الطّاعةُ، والتَعَبُّدُ: التَنَسُّكُ[1]، والعِبادَةُ أبلغُ منها، لأنَّها غايةُ التّذلّل، ولا يستحقّها إلّا مَنْ له غاية الإفضالِ، وهو الله تعالى[2]، ومعنى ﴿عَٰبِدِينَ﴾ في الآية: من العبادة وهو الخضوع والذلّ للأصنام، وهذا إشراكٌ بالله تعالى.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

طريقةُ التّقليدِ جوابُ سذاجةٍ وجهلٍ وعجزٍ عنْ أدنى شبهةٍ من دليل

المعنى الإجماليّ في البيانِ الإلهيِّ: لَم يَكُنْ لأبي إبراهيمَ وقومه حُجَّةٌ سِوى صَنيعِ آبائِهِمُ الضُّلّالِ، فأجابوا إبراهيم ﷺ بقولهم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثانِ عابدين، فنحنُ على مِلّةِ آبائنا نعبدُها كما كانوا يعبدونها، أي: نَعبُدُها اقتداءً بهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتة فصلِ الآية عن سابقتها:

استئنافٌ بيانيٌّ يتضمّنُ جوابًا لا حُجَّةَ فيه ولا برهان

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ عن الّتي قبلها؛ إمّا لأنّها جاءتْ جوابًا عن سؤال إبراهيم ﷺ ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ على طريقةِ المُحاوراتِ الّتي يُحذفُ فيها العاطفُ كراهيةَ تكراره بتكرارِ أفعالِ القولِ، أو لكونها استئنافًا بيانيًّا مبنيًّا على سؤالٍ مقدّرٍ نشَأ عنها مِن السّياقِ، وذلك أنّه بعد أنْ سألهم إبراهيم عن سببِ عبادتهم لهذه التّماثيل، كأنَّه قيل: ماذا كان رَدُّهم إذن؟ فقيل: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

دلالة التّعبير بفعل القول المجموع الماضي:

اعتمادُ قومِ إبراهيم للتّقليدَ الأعمى أمرٌ متحقّقٌ منهم أطبقوا عليه

عبّر البيانُ الإلهيُّ بالماضي المجموع ﴿قَالُواْ﴾ في قوله: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾؛ للدّلالة على أنّ فعلَ القولِ من أبي إبراهيم وقومِه قد وقعَ وتحقّق؛ فهو حكايةٌ لِما قالوه في ردِّهم على إبراهيم ﷺ،

(1) الجوهريّ، الصّحاح، والزَّبِيديّ، تاج العروس: (عبد).
(2) الرّاغب، المفردات: (عبد).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 456، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 348.

ولأنّ صيغةَ الفعل الماضي تناسبُ السّياق الّذي جاءَ الحوارُ فيه كلّه بصيغةِ الفعلِ الماضي (قال)، وأمّا التّعبيرُ بصيغةِ الجمعِ فللإشارة إلى افتقادِ قومِه للحُجّة وانغماسهم في الضّلالةِ هو أمرٌ مُتَحَقِّقٌ عند مجموع قومه، وأنَّ مضمونَ القولِ وهو الاعتماد على تقليد الآباء والأجداد قد أطبقوا واتّفقوا عليه، ورضيَ به جميعُهم؛ أي: جالتْ به صدورُ بعضهم، ونطقتْ به ألسنةُ آخرين.

فائدة الجملة الخبرية:

تقليدُ الآباءِ دون تدبّرٍ أو تفكّرٍ دليلُ تحجّرِ العقول وانطماسِ البصائر

الجملةُ الخبريّة ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ هي حكايةُ ما قاله أبو إبراهيم وقومُه في ردّهم على إبراهيم ﷺ، وقد أفادتِ الدّلالةَ على تحجّرِ عقولهم، وانطماسِ بصائرهم؛ إذ قلّدوا فعلَ آبائهم بدون تدبّرٍ أو تفكّرٍ[1]، وأفادتْ كذلك إقرارَهم بالعجزِ عن جوابٍ مقنعٍ، واستشعارهم ما يلزمهم في عبادةِ ما يصنعونهُ بأيديهم، وقد تقدّم وجودهم على وجودها، فأجابوا بالتّقليد[2].

إيثار فعل ﴿وَجَدْنَآ﴾ دون غيره:

حالُ قومِ إبراهيم من التّمسك بالباطل يُنبئُ عنه مقالُهم

آثرَ القرآنُ الكريم استعمالَ فعل ﴿وَجَدْنَآ﴾ دون غيره: في قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ ولم يقل: (رأينا أو شاهدنا أو ألفينا)؛ لكون لفظ ﴿وَجَدْنَآ﴾ أنسبَ في التّعبيرِ عن عنادهم وتمسّكهم بباطلهم، وأنّهم متأكّدون ممّا يعبدون؛ إذ يتميّز لفظ (وجد) بمعنى إصابَة الشَّيْء والإحساس بِهِ، ومن معانيه العلم، والمعرفة والرؤية، فهو يشملُ الإلفاءَ واللّقاء والمشاهدة والرؤية[3].

وجه جمع الآباء:

تسويغُ قوم إبراهيم عبادةَ التّماثيل باجتماع آبائهم على ذلك

عبّروا بلفظِ الآباءِ بصيغةِ الجمعِ في قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 222.
(2) الغِرناطيّ، مِلاك التّأويل: 2/ 348.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وجد)، وابن الجوزيّ، نُزْهَةُ الأَعْيُنِ النّواظِر، ص: 615.

ءَابَآءَنَا﴾؛ للإشارةِ إلى أنّ فعلَ العبادةِ للأصنامِ لم يكنْ فعلًا فرديًّا، وإنّما هو فعلٌ اجتمعتْ عليه كلمةُ الآباءِ الأقربون منهم والأبعدون، وفي ذلك تعليلٌ منهم لاقتدائهم بفعلِ الآباء، ولذلك كان ردُّ إبراهيم ﷺ بأنَّ الباطلَ لا يصيرُ حَقًّا بكَثرةِ المُتمَسِّكينَ به[1]، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

سرّ تقديم شبه الجملة ﴿لَهَا﴾ على المفعول الثّاني:

أصنامُ المشركين محلُّ عنايتِهم وأمارةُ ذلك تخصيصُهم إيّاها بالعبادة

قدّم القرآنُ الجارّ والمجرور ﴿لَهَا﴾ على المفعول الثّاني ﴿عَٰبِدِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾؛ للاختصاصِ بما يفيدُ الدّلالةَ على استمرارِ عبادةِ آبائهم للأصنامِ وحدَها دون غيرها[2]، وللإشارةِ إلى اهتمامهم بها والعنايةِ بشأنها.

فائدة التّعبير بلفظ العبودية في قوله ﴿عَٰبِدِينَ﴾:

إصرار قومِ إبراهيم على عبادة مَن لا ينطقُ ولا يَسمعُ مبالغةٌ في الحمق والجهالة

في التّعبيرِ بلفظِ العبوديّة في قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾؛ إيماءٌ إلى تضمينِ العكوفِ ﴿أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ - في الآية السابقة - معنى العبادة[3]، وإلى المبالغةِ في تسويغ فعلهم؛ وهو اختصاصُ أسلافهم هذه الأصنامَ بالخضوعِ والعبادة، وفيه إشارةٌ إلى الإقرارِ على أنفسهم، وإنْ لم يقصدوا ذلك بأنّ عبادتهم للأصنامِ عبادةٌ عنْ غيرِ فهْمٍ؛ لأنَّ العبادةَ طاعةُ عُبّادٍ لأوامرِ معبودِهم، فبماذا أمَرَتْهُمُ الأصنام؟[4].

سرّ التّعبير باسم الفاعل المجموع ﴿عَٰبِدِينَ﴾:

احتجاجُ قوم إبراهيم باستمرارِ آبائهم بعبادةِ الأصنام تسويغٌ لباطلهم

عبّر البيانُ القرآنيُّ باسم الفاعل ﴿عَٰبِدِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾؛ للدّلالة على المبالغةِ في استمرارِ

(1) ابن عادل، اللّباب: 13/ 519.
(2) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4882.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 72.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 15/ 9575.

اتّصاف آبائهم بالوصفِ باسم الفاعلِ ﴿عَٰبِدِينَ﴾؛ لأنّ اسمَ الفاعل يدلُّ على الثباتِ والدوامِ، والمعنى: استمرّ آباؤنا على عبادتها، وما استمرّوا عليه فهو حقٌّ، ولا دليلَ عندنا سوى ذلك[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(وجدنا) و(ألفينا) و(لقينا) و(رأينا) و(شاهدنا):

من قوّة الاحساس بالتّماثيل كأنّهم ظفروا بثمين

(وجَدْنا): أصبنا الشَّيْء وأحسسنا به بعد أنْ لم يكن ذَلِك[2]، ومن معانيه: الإصابةُ والمصادفةُ، والعلمُ، والرؤيةُ، ووجَدَ مطلوبَه: أصابهُ وأدرَكه وظفِرَ به، وعَثَرَ عليه[3]، ومعنى(ألفينا): وجَدْنا وصادَفْنا ولَقينا[4]، وبذا يكون (وجدنا) أوسعَ دلالةً من (ألفينا)؛ إذ هو إصابَةُ الشَّيْء والإحساسُ بِهِ.

و(لقينا): يدلُّ على تَوافي شَيْئَيْنِ وتقابلِهما، وكلُّ شيءٍ اسْتَقْبَلَ شَيْئًا أو صادَفَهُ فقَدْ لقيَه مِنَ بَينِ الأشياء كُلِّها[5]، ويُقالُ ذلك في الإدراكِ بالحسّ، وبالبصرِ، وبالبصيرة[6]، و(رأينا): يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة[7]، والرُّؤيةُ بالضمّ: إدراكُ المرئيِّ، وذلك أضْرُبٌ؛ الأوّلُ: النّظرُ بالعين الّتي هي الحاسّة وما يجرّي مجراها، والثّاني: بِالوَهْمِ والتّخيُّل، والثّالث: بالتّفكّر، والرّابع: بالقلب، أي بالعقل[8]، و(شاهدنا): أصلُه يَدُلُّ على حُضورٍ، وعِلْمٍ، وإعْلامٍ، ومُعايَنَة[9]، والشَّهادةُ: الحضورُ مع المشاهدةِ، إمّا بالبصر

(1) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4882.
(2) ابن الجوزيّ، نُزْهَةُ الأَعْيُنِ النّواظِر، ص: 615.
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وجد)، وأحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (وجد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (لفا).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لقى).
(6) الرّاغب، المفردات: (لقى).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).
(8) الرّاغب، المفردات: (رأى).
(9) الزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (شهد).

أو البصيرة[1]، ويتميّز لفظ (لقينا) بمعنى التّقابل والمصادفة والوجود القويّ، ويتميّز لفظ (رأينا) بالنّظرِ والإبصارِ بعينٍ أو بصيرةٍ، ويتميّز لفظ (شاهدنا) بمعنى الحضورِ والعلم والمعاينة.

(1) الفيروزآباديّ، بصائر ذوي التّمييز: 3/ 352.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»